الحمد لله رب العالمين، حمدًا يليق بعظمته وكماله وجلاله، والصلاة والسلام على خير خلقه، وخاتم رسله ﷺ وعلى آله وأصحابه الكرام، **أما بعد.**

فإن الإيمان بالله – أى بالذات الغيبية العلوية القاهرة الجديرة بالطاعة والعبادة – هو روح الإسلام وأصل عقائده كلها، كما بينه كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام. فالقرآن حين يتحدث عن أركان الإيمان ومتعلقاته يجعل الإيمان بالله أولها وأصلها كما فى قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦].
والرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يقول فى حديث جبريل المشهور حين سأله عن الإيمان. قال: « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره»[١] .

فالإيمان بالله هو الأصل، وكل أركان العقيدة الأخرى مضافة إليه وتابعة له؛ ذلك لأنه لا يتصور أن يؤمن أحد بالرسل إلا بعد الإيمان بالمرسل سبحانه، ولا بالجزاء والحساب إلا بعد الإيمان بالمجازى والمحاسب ﷻ، وكذلك سائر أركان الإيمان التى تضمنتها الآيات السابقة.

والإيمان بالله، يتضمن الإيمان بوجوده بالضرورة، والإيمان بوحدانيته فى ربوبيته وألوهيته، والإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العليا التى يتجلى فيها اتصافه

---

(١) صحيح مسلم – كتاب الإيمان .

بكل كمال يليق به، وتنزهه عن كل نقص، فكما أن الإيمان بالله تعالى هو جوهر العقائد الإسلامية فإن توحيد الله تعالى هو جوهر الإيمان بالله.

وقد أوجز رسول الله ﷺ ما يجب الإيمان به من العقائد الإسلامية فى الحديث الذى يرويه عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول ﷺ: « من شهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن «عيسى»عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى « مريم» وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان عليه من العمل». فى هذا الحديث جمع ﷺ أصول العقائد التى بها النجاة فى الآخرة. فإن العقائد على كثرتها فى كتب التوحيد ترجع إلى أربعة مقاصد، وهى:

١ - معرفة الله تعالى وتوحيده (توحيد الربوبية – الألوهية – توحيد الأسماء والصفات) .

٢ - الإيمان بالرسل، والملائكة، والكتب، والتكاليف.

٣- الإيمان باليوم الآخر، والبعث، والحساب، والجزاء، والصراط، والجنة، والنار.

٤ - الإيمان بالقدر خيره، وشره.

وعندما نرصد مفهوم العقيدة وسماتها فى الإسلام، فإن هنالك نقاطا يجب أن لا تغيب عن أذهاننا كلما تحدثنا عن هذه العقيدة، وهى:

١ - ربانية هذه العقيدة، وهى المنهاج الأخير للحياة البشرية إلى يوم الدين.

٢ - أن هذه العقيدة التى يقام عليها صرح الشريعة هى فقط التى تكفل سعادة الإنسان فى الدارين.

٣- وهى – وحدها – التى تجمع بين الروح والجسد فى نظام الإنسان، والأرض والسماء فى نظام الكون، وبين العبادة والعمل فى نظام الدين.

٤ - أن الأعمال كلها والتصرفات جميعها مبنية على العقيدة، وهى انعكاسات لها.

٥ - كل عمل لا يرتبط بالعقيدة فلا وزن له ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖ ﴾ [إبراهيم: ١٨].

هذه الأمور الخمسة هى المنارة الهادية لكل من أراد النجاة من الشقاء، ولمن أراد الطمأنينة والسلامة والسعادة.

ومن أجل أهمية العقيدة: فقد أفرد لها رب العزة مساحة واسعة من كتابه، وأعطاها فترة طويلة حتى تستقر فى الأعماق وتعيش مع النفوس، فالفترة المكية كلها تقريبا لا تكاد تخرج بنصوصها عن هذه القضية الكبرى، ولا تناقش إلا هذا الموضوع، وذلك لأن بناء النفوس بالعقيدة عملية بطيئة شاقة، قد يحتاج هذا العمل مدة توازى نمو الجسم نفسه ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ [الإسراء: ١٠٦].

وكذلك فإن استقرار العقيدة فى الأفئدة يتوقف عليه تنفيذ جميع التشريعات، ومن هنا تأخر نزول التشريع إلى المدينة حتى تستقر العقيدة فى نفوس الصحب الكرام الذين جعلهم الله ستارا لدينه، ونصر هذا الدين على أيديهم.

وكذلك فإن العقيدة تمثل الجذور لشجرة هذا الدين، وما لم تكن الجذور ضاربة فى أعماق الأرض فإنها لن تحمل فروع هذه الشجرة الضخمة الباسقة، فالعمل الصالح لا بد له من إيمان متمكن فى جوانب النفس وأغوارها وأعماق الفؤاد.

وكذلك فالعقيدة تمثل الأساس للبناء، والعمارة الضخمة لا بد لها من أساس مكين وقاعدة صلبة؛ حتى يستقر فوقها البناء.

ومن أجل أهمية العقيدة وحساسية موضوعها وجوهريتها: فقد كانت معظم نصوص العقيدة فى القرآن بكلمة « قل» التلقينية، ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وهذه العقيدة لها تجلياتها النورانية العظيمة، وانعكاساتها فى سلوك المسلم، وحياة المجتمع؛ مما يمكن إبرازه فيما يلى:

أولاً: أنها يهدى بها الله من اتبع رضوانه سبل السلام، أى: أن من اتبع منهم ما يرضيه تعالى بالإيمان بهذا النور يهديه – هداية دلالة تصحبها العناية والإعانة – الطرق التى يسلم بها فى الدنيا والآخرة من كل ما يرديه ويشقيه، فيقوم فى الدنيا

بحقوق الله تعالى، وحقوق نفسه الروحية والجسدية، وحقوق الناس، فيكون متمتعا بالطيبات، مجتنبا للخبائث، تقيا مخلصا، صالحا مصلحا، ويكون فى الآخرة سعيدًا منعمًا، جامعًا بين النعيم الجسدى، والنعيم الروحى العقلى.

ثانيًا: أن من يتبع هذه العقيدة يجد فيها جميع الطرق الموصلة إلى ما تسلم به النفس من شقاء الدنيا والآخرة؛ لأنه دين السلام، والإخلاص لله ولعباده، دين المساواة والعدل، والإحسان والفضل.

ثالثًا: الهداية إلى الصراط المستقيم، وهو الطريق المؤدى إلى القصد والغاية من الدين فى أقرب وقت؛ لأنه طريق لا عوج فيه ولا انحراف، فيسلم سالكه ولا يضل فى سيره، وهو أن يكون الاعتصام بالقرآن الكريم على الوجه الصحيح، الذى تكون عقائده وآدابه وأحكامه مؤثرة فى تزكية الأنفس وإصلاح القلوب، وإحسان الأعمال، وثمرة ذلك سعادة الدنيا والآخرة، بحسب سنن الله فى خلق الإنسان.

وأبو شريح الخزاعى، يقول : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: « أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله؟. قالوا: بلى..

قال: إن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبدا»[1] .

وعن أبى الأحوص، عن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « إن هذا القرآن هو حبل الله المتين، وهو النور المبين، وهو الشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه»[2] .

رابعًا: استقامة الخلق والقصد، لا يكون لهم هوى غير أمر الله، وأمر رسوله ولا يكون لهم دستور إلا شريعة الله ورسوله، ولا يكون لهم منهج إلا دين الله ورسوله، ولا يكون لهم خيرة إذا قضى الله ورسوله أمرًا، وبذلك يوحدون

---

(١) رواه الطبرانى فى المعجم الصغير.
(٢) رواه الدارمى فى سننه.

نهجهم، ويوحدون هدفهم، ويوحدون طريقتهم، فلا تفرق بهم السبل، عن الطريق الواحد الواصل المستقيم.

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تبارك وتعالى: «وجبت محبتى للمتحابين فىّ، وللمتجالسين فىّ، وللمتزاورين فىّ، وللمتباذلين فىّ»[1].

خامسًا: الأخوة الإيمانية: لقد كان من مستلزمات إلغاء الفوارق العرقية، والعنصرية، والإقليمية، والطبقية، التى نادى بها الإسلام، أن أعلن الأخوة الإيمانية بين جميع المؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿ ...إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ... ﴾ [الحجرات: ١٠]، وبذلك غدا المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها، وكل عرق ولون ولغة: أسرة إسلامية واحدة تربط ما بين أعضائها العقيدة الواحدة، والتشريع الواحد.

ولقد نبه القرآن الكريم الرسول ﷺ وأمته من بعده، إلى خطورة الفُرقة، وخطر المفرقين، الذين فرقوا دينهم مِللاً ومذاهبَ، فتمزقوا شيعًا وأحزابًا، يضرب بعضهم رقاب بعض، فضلوا عن سواء السبيل، مما أفسدوا به دين الله – تعالى – ودنيا الناس. ويعد انفصالاً عن الدين وكفرًا به، الأمر الذى يبرأ منه الرسول الكريم محمد ﷺ وتبرأ منه أمة التوحيد والوحدة، حتى تلقى الله بوجه مشرق، وصفحة نقية، على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيع عنها إلا هالك.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

كما أن العقيدة تغرس معانى الكرامة والعزة فى قلب المؤمن باعتباره إنسانا يشعر بمعان أعمق، وعزة أشمخ، ويسمو به إيمانه إلى سماء عالية لا يسعى إليها على قدم ولا يطار به على جناح.

---

(١) رواه مالك، فى الموطأ.

وهـو بوصفـه عضوًا فى أمة الإيمان – يشعر بكرامة أكبر وعزة أفضل ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمـــران: ١١٠]، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨] .

يشعر المؤمن بالعزة التى سجلها الله فى كتابه للمؤمنين مقرونـة بـالعزة لنفسه ولرسوله، ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨].

ويشعر بأنه كتب له الكرامـة والحريـة التى بهـا يعلـو ولا يعـلى، ويـسود ولا يساد ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ [النساء: ١٤١].

ويشعـر أنـه فى ولايـة الله الـبر الكـريم، ولايـة المعونـة والنـصرة، والرعايـة والهداية ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد: ١١].

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

ويشعـر المؤمن أنه فى معية الله الذى يكلؤه دوما بعينه التى لا تنام، ويحرسه فى كنفـه الـذى لا يـرام، ويمـده بنـصره الـذى لا يقهـر: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال:١٩]. ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧]. ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ١٠٣].

ويشعر المؤمن أنه فى حماية الله القوى القدير، يذود عنه، ويرد عـن صـدره سـهام الكائدين والمعتدين: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج: ٣٨].

والقرآن يجعل المؤمنين مقياسا لصلاح الأعمال أو فسادها، فحكمهـم عنـد الله معتبر، ورؤيتهم للأعمال مقرونة برؤيـة الله ورسولـه ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وإذا كانت هذه الآية توحى بأن رضا المؤمنين من رضا الله، فإن مقتهم – أيضا – من مقت الله سبحانه: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [غافر: ٣٥].

وإن هذه المعانى الكبيرة، والمشاعر الرفيعة، إذا سرت فى كيان فرد، جعلت منه إنسانًا عزيزًا كريمًا، كبير النفس، كبير الآمال، إنسانًا لا يحنى رأسه لمخلوق، ولا يطأطئ رقبته لجبروت، أو طغيان أو مال أو جاه، شعاره هذه الكلمة: « سيد فى الكون، عبد لله وحده».

لا عجب بعد هذا، إذا رأينا عبدًا أسود مثل بلال بن رباح، حين يشرب قلبه إيمانًا، يتيه على "السادة" المتكبرين فخرًا، ويرفع رأسه عاليًا، فقد صار بالإيمان أرفع عند الله ذكرًا، وأسمى مقامًا، ينظر إلى أمية بن خلف وأبى جهل بن هشام وغيرهما من زعماء قريش وصناديد مكة، نظرة البصير للأعمى، نظرة السائر فى النور إلى المتخبط فى الدجى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٢]. ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك: ٢٢].

ولا غرو بعد ذلك إذا رأينا أعرابيًا أميًا من البداة الجفاة، مثل ربعى بن عامر حين باشرت قلبه عقيدة الإسلام، وأضاءت فكره آيات القرآن، يقف أمام رستم قائد قواد الفرس، وهو فى هيله وهليمانه، وأبهته وسلطانه، غير مكترث له: ولا عابئ به، وبما حوله من خدم وحشم، وما يتوهج بجواره من فضة وذهب، حتى إذا سأله رستم: من أنتم؟ أجابه هذا الأعرابى فى عزة مؤمنة، وإيمان عزيز، إجابة خلدها التاريخ، قال: نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى هدى الإسلام.

ولا عجب أن تقرأ لشاعر مؤمن يناجى ربه فى عبودية عزيزة بالله، متذللة إليه، غنية بالله، فقيرة إليه، قائلا:

ومما زادنى شرفًا وعزًا ... وكدت بأخمصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك "يا عبادى" ... وأن صيَّرت أحمد لى نبيا !

قال ابن القيم – رحمة الله – فى كتابه مدارج السالكين :

« فى القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله .

وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله.

وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته، وصدق معاملته.

وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والقرار إليه.

وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضى بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه.

وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له، ولو أعطى الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبدًا » .

وبهذا الإيمان البسيط العميق الذى جاء به الوحى، وأيده العقل، واقتضته الفطرة، وشهد له كل سطر، بل كل كلمة فى كتاب الوجود المفتوح – سلم المؤمن من الشك والاضطراب، واستراح من البلبلة والحيرة، الذهنية والنفسية.

بهذا الإيمان الواضح، حل المؤمن ألغاز الوجود الكبرى، حين عرف مبدأه ومصيره، وغايته ومهمته، بل عرف مبدأ الوجود كله ومنتهاه وغايته وهدفه: فانحلت عقد الشك من نفسه؛ وزالت علامات الاستفهام الكبيرة من حياته.

لقد عرف أن له ربا؛ وهو رب كل شىء؛ هو الذى خلقه فسواه؛ وكرَّمه وفضَّله؛ وجعله فى الأرض خليفة؛ وكفل له رزقه، وسخر له ما فى السماوات وما فى الأرض جميعا منه، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، فاطمأن إلى ربه، ولاذ بجواره، واعتصم بحبله، فآوى بهذا الإيمان إلى ركن شديد، ولاذ بقرار مكين، واستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

وعرف المؤمن أنه لم يخلق فى هذه الحياة عبثا، ولم يترك سدى، فبعث الله إليه رسله بالبينات، هداة ومعلمين، مبشرين ومنذرين؛ ليهتدىَ الناس إلى الحق، ويستبينوا معالم الطريق، ويعرفوا ما يرضى الله فيتبعوه، وما يسخطه فيتقوه وليقيموا

بين الناس موازين القسط، ويحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه، وليكون أمثلة رفيعة يتخذها الناس أسوة حسنة لصوالح الأعمال، ومكارم الأخلاق.

عرف المؤمن أنه ليس غريبًا على الكون الكبير من حوله، ولا معزولاً عنه، إنه بإيمانه لم يعد وحده. إن الكون كله معه، فنظرة هذا الكون هى الإيمان. هى التسبيح والسجود للأعلى، الذى خلق فسوى، والذى قدر فهدى ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٤].

إن هذه المكاسب الهائلة التى غنمها المؤمن، وجنى ثمارها، وقطوفها الدانية، لا يقدرها حق قدرها إلا من حُرمها، أو تأمل بعين بصيرته حال من حُرمها.

فالجاحدون بالله، أو المرتابون فيه، وفى لقائه يوم الحساب يحيون حياة لا طعم لها ولا معنى، حياة كلها قلق وحيرة، كلها علامات استفهام، كلها أسئلة لا تجد لها عندهم جوابا.

إنهم لا يوقنون بشىء يطمئنون إليه، ويستريحون له فى قضية وجودهم أنفسهم، ووجود الكون كله من حولهم؛ من أين جاءوا؟ ومن جاء بهم؟ ولماذا جاء بهم؟ وإلى أين يذهبون بعد هذه الرحلة القصيرة، التى لم يفهموا لها سرًا، ولم يعرفوا لها غاية؟ وما هذا الكون؟ وما مبدؤه؟ وما غايته؟ وما علاقتهم به؟.

إن عقولهم المحدودة لا تستطيع أن تجيبهم إجابة تشفى الصدور، وتمحو بنورها ظلمات الشك والحيرة والاضطراب. ربما يهتدون فى يوم إلى جواب عن هذه الأسئلة الحائرة المحيرة، ثم يعودون فى اليوم الثانى فينقضون ما أبرموا، ويحلون ما عقدوا، ويتبرأون مما قالوا ولا يثبتون على قرار، ولا يستقرون على فكرة، ولا يدومون على وجهة أو طريق.

كريشة فى مهب الريح طائرة لا تستقر على حال من القلق

ومن آثار العقيدة الصحيحة أن يعيش المؤمن روح العبودية لله وحده، والإيمان به وحده ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات: ١١١].

العبودية لله تعنى: التحرر من التبعية لكل من سواه وما سواه، فلا خضوع لمخلوق فى الأرض أو فى السماء. حتى الشيطان الوسواس الخناس ليس له سبيل على عباد الله ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الإسراء: ٦٥].

والعبودية لله تعنى: الانقياد لحكمة سبحانه، ومع رضا الناس، وتسليم القلب، دون أدنى حرج أو ارتياب؛ لثقته بأن تدبير الله له خير من تدبيره لنفسه، وأنه تعالى أرحم به من أمه وأبيه، وأنه سبحانه أعلم بما يصلحه ويزكيه.

والمؤمن الصادق هو الذى عرف لهذه العبودية حقها، فوجهه الذى فطر السماوات والأرض حنيفًا، وحطم الأصنام كلها من قلبه، ورفض الطواغيت كلها من حياته، ولم يرض غير الله ربا، ولم يتخذ غير الله وليا؛ ولم يبتغ غير الله حكما؛ اتضحت لعين بصيرته الوجهة واستقام أمامها الطريق؛ لا لبس ولا غموض؛ ولا عوج ولا أمت ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٤] .

وبهذا الاتجاه الواضح انحلت العقد فى نفس المؤمن وفى حياته، فقد عرف الطريق فسلكها على بصيرة، غير هياب ولا متردد، ولا قلق ولا مرتاب؛ طريق الرجوع إلى أمر الله، والاستسلام الكامل لحكم الله، واليقين بأن خيرى الدنيا والآخرة فى اتباعه ﷺ والرضى به ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ [الأحزاب: ٣٦]. ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٥١].

إن شعور المؤمن بأن يد الله فى يده، وأن عنايته تسير بجانبه، وأنه ملحوظ بعينه التى لا تنام، وأنه معه حيث كان، يطرد عنه شبح الوحدة المخيف، ويزيح عن نفسه كابوسها المزعج.

كيف يشعر بالوحدة من يقرأ فى كتاب ربه ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٥]. ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد: ٤]؟ إنه لا يشعر إلا بما شعر به موسى عليه السلام حين قال لبنى إسرائيل: ﴿ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦٢]. وما شعر به سيدنا محمد ﷺ فى الغار حين قال لصاحبه رضي الله عنه: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبه: ٤٠].

إن شعور المؤمن بمعية الله وصحبته دائما يجعله فى أنس دائم بربه، ونعيم موصول بقربه، يحس أبدًا بالنور يغمر قلبه، ولو أنه فى ظلمة الليل البهيم، ويشعر بالأنس يملأ عليه حياته وإن كان فى وحشة وغربة واغتراب.

بين مفهوم الإيمان وأثره، وبين رابط العقيدة وفاعليتها، وبين تأثير العقيدة فى سلوكنا وحياتنا تأتى هذه الرؤية الإيمانية (العقيدة والسلوك، والانفصام بينهما).

وقد حرصنا من خلال مادة هذا الكتاب على إبراز فاعلية العقيدة والإيمان، وعلى ضرورة تحقيق الربط بين العقيدة والسلوك؛ وبين الإيمان والتطبيق، وأبرزنا خطورة الانفصام بينهما، وذلك على النحو التالى:

تناول الفصل الأول (مدخل إلى العقيدة والإيمان) ثمانية مباحث، بدأت ببيان مفهوم العقيدة، ثم بيان حاجة الإنسان إلى العقيدة الصحيحة، ومزايا العقيدة الإسلامية وخصائصها، ومقتضيات العقيدة الصحيحة، والمفهوم الشامل للإيمان، وبيان حقيقة الإيمان، وإبراز علاقة الإيمان بالعمل، والخلوص إلى ثمرات الإيمان الصحيح.

وتحول الفصل الثانى إلى الجانب التطبيقى من خلال (أثر الإيمان فى حياة المسلم وسلوكه) وذلك من خلال اثنى عشر مبحثًا (المسلم وسلوكه)، وبدأت ببيان علاقة الإيمان بشخصية المسلم، وأثر الإيمان فى جانب العبادة، وذكر الله، وتلاوة

القرآن، وبيان أثر الإيمان فى تحقيق سعادة المسلم، والإيمان وأثره فى حب المسلم لربه والناس، وتبع ذلك إبراز أثر الإيمان فى تحقيق الرضا لدى مسلم، وأثر الإيمان فى الصوم عن المعاصى، والإيمان والشوق إلى الكعبة المشرفة، وأثر الإيمان فى أداء حق الله فى المال، ثم استتبع ذلك إبراز أثر الإيمان فى الجانب الأخلاقى من خلال (الصدق – أداء الأمانة – العفو – الصبر)، ثم الإيمان ودوره فى تفكر المسلم فى ملكوت الله، وفى تحقيق الأمن النفسى، وختامًا بدور الإيمان فى إيجاد الأمل لدى المسلم.

والله تعالى نسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به، ويثقل به موازيننا، ويرفع به درجاتنا فى أعلى عليين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أحمد عبده عوض

شعبان ١٤٢٩هـ